

الأسلوب بين التراث والمعاصرة مدخل إلى تحليل أسلوب الخطاب القرآني

شيماء علي محمود
جامعة الموصل/ كلية الآداب قسم اللغة العربية
محمد حسن مصطفى
جامعة الموصل/ كلية التربية الأساسية قسم اللغة العربية
(قدم للنشر في ١٣ / ١ / ٢٠٢٣ ، قبل للنشر في ٢٠ / ٢ / ٢٠٢٣)

ملخص البحث

تعددت مفاهيم الأسلوب في التراث النقدي والبلاغي العربي، وهي أكثر تعدداً واختلافاً في الدراسات الأسلوبية الحديثة، واستلزم ذلك تعدد مناهج تحليل النصوص أسلوبياً، واتصافها بالانتقائية لتتناسب مع طبيعة النصوص المراد تحليلها، وبالنظر لخصوصية النص القرآني وقداسته رأينا أن نبحت في صفحات التراث، ونفتش في حقله المعرفية ذات الصلة بتحليل النصوص، وبخاصة ما اختص منها بالنص القرآني لتشكيل الأداة الأسلوبية التي تجمع بين خصوصية النص، وقيم التراث، وروح المعاصرة. واقتضى ذلك الإلمام بجهود الأدباء والنقاد في مقارباتهم الأسلوبية، وتحليلاتهم النصية، وآراء البلاغيين الذين كانوا أكثر اعتناءً بالنص القرآني، فضلاً عن رجال الإعجاز الذين أشاروا إلى ملامح أسلوبية دقيقة وهم يبحثون عن أسرار الإعجاز.



Style between Heritage and Contemporary: An introduction to the Analysis of the Style of the Quranic Discourse

Shaima Ali Mahmoud
University of Mosul / College of
Arts, Department of Arabic
Language

Muhammad Hassan Mustafa
Mosul University/ College of
Basic Education, Department of
Arabic Language

Abstract

There are many concepts of stylistics in the Arabic critical and rhetorical heritage, and they are more diverse and different in modern stylistic studies. Knowledge related to the analysis of texts, especially those specific to the Qur'anic text, to form the stylistic tool that combines the privacy of the text, the values of heritage, and the spirit of contemporary. This required familiarity with the efforts of writers and critics in their stylistic approaches, their textual analyzes, and the opinions of the rhetoricians who were more concerned with the Qur'anic text, as well as the men of miracles who referred to precise stylistic features while searching for the secrets of miracles.

يُمثل مفهوم الأسلوب بوصفه مصطلحاً واحداً من المفاهيم التي اعتراها الكثير من الغموض واللبس، سواء في ذلك ما ورد حول هذا المفهوم من إلماحات في التراث العربي أو شروحات لدى المحدثين والمعاصرين من عرب وغربيين.

وعلى العكس من ذلك نجد عند النظر في المعنى اللغوي للأسلوب، فغالبية المعاجم اللغوية ذكرت المعنى اللغوي وعرفته بأنه: الطريق، وكلُّ طريق ممتد أسلوب، وهو الوجه والطريق والمذهب، والجمع أساليب^(١)، وهو بالضم: الفن، ومنه قولهم: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه^(٢).

والملاحظ أن هذا المعنى اللغوي للأسلوب يشتمل على جانبين: الأول، حسّي، وهو قولهم إنه: السطر من النخيل والطريق الممتد، والثاني معنوي يتمثل في قولهم: إنه وجه القول وطريقه والمذهب والفن، وبين الجانبين الحسّي والمعنوي أوامر قري، فكما أن السطر من النخيل يأخذ شكلاً معيناً: مستطيلاً أو دائرياً، وكذلك الطريق الممتد على الأرض، فإن الأسلوب الفني شبيه بهما، فإذا قلنا مثلاً: (أسلوب الشاعر) لاحظنا معنى الالتزام بهذا الأسلوب من القول لمن يريد أن يقول شعراً، فهو محكوم بالأوزان والقوافي كحال من يسير في طريق حسّي فهو محكوم أيضاً باتجاه الطريق الذي يسير فيه^(٣). ولا شك أن هذا المعنى اللغوي للأسلوب يقترب كثيراً في جانبه المعنوي من دلالاته الاصطلاحية^(٤).

وبالنظر في كتب التراث العربي نجد وقوفاً على المفهوم الاصطلاحي للأسلوب يمكن تتبع ملامحه التي تتضح حيناً وتتوارى حيناً آخر خلف مسميات أخرى التبس على واضعيها تمييز المفهوم الدلالي للأسلوب عن غيره من المفاهيم. وسنحاول الوقوف على الدلالة الاصطلاحية للكلمة ابتداءً مما ورد في كتابات علماء التراث العربي وانتهاءً بما دونته أقلام المحدثين من العرب والغربيين.

الأسلوب عند علماء التراث العربي:

لقد تطرق الأدباء والنقاد العرب القدامى لمفهوم الأسلوب في دراساتهم وتحليلاتهم اللغوية والأدبية، فهذا هو الجاحظ الذي لم يستعمل مصطلح الأسلوب في كتابه البيان والتبيين^(٥)، إلا إنه يشير في غير موضع من الكتاب نفسه إلى سمة تُعدُّ إحدى أهم السمات في الدراسات الأسلوبية الحديثة، وهي سمة الاختيار^(٦)، فنجد مثلاً يتطرق

(١) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، تح: محمد عوض مرعب: ٣٠٢/١٢، ولسان العرب: ٤٧٣/١.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٤٧٣/١، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي: ٧١/٣.

(٣) ينظر: علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، عبد العظيم إبراهيم المطعني: ١٠ - ١١.

(٤) ينظر: اطردات أسلوبية في الخطاب القرآني رصد واستدراك، محمد إقبال عروي: ١٣، والبلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة

والتغريب، د. محمد حسن مصطفى، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ٢٩، ع ٩٦، س ٢٠٢٢م: ٩٥.

(٥) ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس: ٢٣.

(٦) ينظر: م. ن: ١٦٣ - ١٦٤.

إلى سمة اختيار اللفظ قائلاً: ((وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن...))^(٧). ونجده في مؤلف آخر يعرض لملح أسلوب أبي أجاد في وصفه عند حديثه عن وجهة نظره في عجز العرب عن معارضة القرآن^(٨)، إذ قال: ((لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب، لظهر عجزه عنها، وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين، ألا ترى أن الناس قد كان يتهياً في طبائعهم، ويجري على ألسنتهم، أن يقول رجل منهم: الحمد لله، وإنا لله، وعلى الله توكلنا، وربنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل.. وهذا كله في القرآن، غير أنه متفرق غير مجتمع، ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه، لما قدر عليه))^(٩).

فالجاحظ يشير في هذا الموضع إلى: ((وحدة النص التي تحمل خطاباً يعبر عن طبيعة قائله، وعن أغراضه ومقاصده، وحين يكون صاحب الخطاب هو الله الخالق العليم بكل شؤون خلقه وأحوالهم، والمحيط باللغة بجميع ألفاظها ودلالاتها وطرق نظمها، وهو ما لا يتهياً للبشر الإحاطة بها، بل يصيبون منها على قدر علمهم المحدود الناقص))^(١٠).

وبالنظر فيما كتبه ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، نجد أن صورة الأسلوب لديه واضحة تماماً عند حديثه عن القرآن^(١١)، إذ قال: ((وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها بالأساليب... فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح، أو ما أشبه ذلك، لم يأت به من واحدٍ واحد، بل يفتن: فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه، حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف عن بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين، ويشير إلى الشيء ويكني عن الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام))^(١٢).

^(٧) البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون: ١/١١.

^(٨) ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني، د. محمد حسن مصطفى، مجلة آداب الفراهيدي، مج ١٤، ع ٥٠، ص ٢٠٢٢م: ٩٧.

^(٩) رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ٢٢٩/٣.

^(١٠) النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٨.

^(١١) ينظر: البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ٩٦.

^(١٢) تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر: ١٢ - ١٣.

فكلام ابن قتيبة هذا عن أساليب العرب في كلامها ((لو أتيت له أن يُشرح ويُبسّط بلغة عصرنا، لأتت شرحه على فكرة المقام، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، الذي صار فيما بعد حدّاً للبلاغة، ولأحاط بكثير من تعريفات الأسلوب ومفاهيمه واتجاهاته عند رواد الأسلوبية المعاصرين)).^(١٣)

ومثل هذا المفهوم الواسع للأسلوب نجده عند أبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) وهو يتحدث عن أساليب الشعراء، وتباين الشعراء في أساليبهم، إذ قال: ((إن جريراً سلك أساليب من الشعر لم يسلكها الفرزدق))^(١٤). فقله هذا ينبئ عن مفهومه للأسلوب الذي يتجاوز حدّ البلاغة ويلاص حدود الأسلوب بمفهومه المعاصر.^(١٥)

وللامدي (ت ٣٧٠هـ) موقف من اختيارات الشعراء وأساليبهم، ففي كتابه الموازنة نجده كثيراً ما يتدخل في اختيارات أبي تمام وبخاصة أسلوبه في بناء الاستعارات^(١٦). فمن ذلك مثلاً أنه عاب على أبي تمام قوله:^(١٧)

يا دهرُ قَوْمٍ من أَدْعِيكَ فقد أضجبت هذا الأنام من خرقك

إذ قال: ((فأي ضرورة دعته إلى الأذعين؟ وقد كان يمكنه أن يقول: (قَوْمٍ من اعوجاجك) أو (قَوْمٍ معوجّ صنعك) أو: (يا دهر أحسن بنا الصنيع)؛ لأن الأخرق هو الذي لا يحسن العمل، وضدّه الصنّع)).^(١٨)

ويشير القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) في الوساطة إلى دلالة الأسلوب على المعاني الخفية للنفس، فالأسلوب عنده صورة لما في نفس قائله^(١٩)، إذ قال في معرض حديثه عن شعر العرب القدماء: ((كان القوم يختلفون في ذلك، وتتباين فيه أحوالهم، فيرقّ شعر أحدهم، ويصلّب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعّر منطق غيره؛ وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق؛ فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة^(٢٠))). وقول الجرجاني هذا مما أكدته الدراسات الأسلوبية المعاصرة، بل إنه صار يمثل أحد اتجاهاتها.

ويطالعنا أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) وهو يتحدث عن سمة الاختيار التي تمثل أبرز السمات في الدراسات الأسلوبية المعاصرة كما تقدم، قائلاً: ((وتخير الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التثام الكلام؛ وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوماً من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه، وأحق بالمقام والحال كان جامعاً للحسن،

^{١٣} البلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب: ٩٦.

^{١٤} الفاضل: ١٠٨.

^{١٥} ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٤.

^{١٦} ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ١٦٦.

^{١٧} الموازنة بين أبي تمام والبحثري، تح: السيد أحمد صقر: ٢٧١ / ١.

^{١٨} الموازنة بين أبي تمام والبحثري: ٢٧١ / ١.

^{١٩} ينظر: علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية: ٤٠.

^{٢٠} تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي: ١٧ - ١٨.

بارعاً في الفضل؛ وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبئك عن مصادره، وأوّلُه يكشف قناعَ آخره، كان قد جمع نهاية الحسن، وبلغ أعلى مراتب التمام)).^(٢١)

ولم يغب مفهوم الأسلوب عن الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، إذ يرتبط مفهومه للأسلوب بمفهومه للنظم من حيث هو نظم للمعاني وترتيب لها^(٢٢)، وقد عدّ بعض الباحثين نظرية النظم العربية التي وضع أصولها الإمام عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) عملاً جديداً في البلاغة العربية، وتفصيلاً واسعاً للأسلوب وتحديدًا قريباً من مفهوم الأسلوبية المعاصرة^(٢٣). بل إن الدكتور محمد عبد المطلب يرى أن عبد القاهر الجرجاني يكاد : ((يتوافق مع الأسلوبيين المحدثين في كثير من مباحثه وخاصة في الإمكانيات الاستبدالية والقدرة التوزيعية، وفي مقولتهم عن انتهاك اللغة، وانحرافها عن النمط المألوف)).^(٢٤)

ولم تقتصر جهود الإمام عبد القاهر في إرساء مفهوم الأسلوب على ما أورده في كتابه دلائل الإعجاز، بل تتجاوزه إلى كتابه الثاني (أسرار البلاغة) ويمكن القول: إن ((أهم ما قدمه الجرجاني في هذين الكتابين تفجير طاقات اللغة التعبيرية بوقفاته البارعة عند الصور البيانية التي تتجاوز الدلالات الوضعية للكلمات إلى دلالات مجازية، والخصائص التعبيرية للتراكيب اللغوية حتى يتصرف البليغ في نظمها، تقديماً وتأخيراً، وحذفاً وذكرًا، وتكثيراً وتعريفًا... أو إيرادها على غير ظاهرها المألوف، لما تقتضيه مقامات الكلام وأغراضه، وهذه هي الإمكانيات الأسلوبية التي ذكرها (كرام هاف) وهو يعرف بمدرسة بالي الأسلوبية)).^(٢٥)

ولم يستعمل الإمام عبد القاهر مصطلح الأسلوب سوى مرة واحدة^(٢٦)، وذلك في معرض حديثه عن الاحتذاء، إذ عرفه فيها قائلاً: ((واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبياً -والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه- فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره))^(٢٧)، وهو يعبر في تعريفه هذا عن مفهوم خاص للأسلوب تداوله الباحثون في مجال السرقات الشعرية، وعرف عندهم بالموازنة والترصيع والمماثلة، وهذا المفهوم للأسلوب هو عينه ما يسميه الأسلوبيون المعاصرون بـ (التوازي).^(٢٨)

^(٢١) الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد الجاوي وأبو الفضل إبراهيم: ١٤١.

^(٢٢) ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ١٦.

^(٢٣) ينظر: الأسلوبية والبيان العربي، دكتور محمد عبد المنعم خفاجي ودكتور محمد السعدي فرهود ودكتور عبد العزيز شريف: ٥.

^(٢٤) البلاغة والأسلوب: ٢.

^(٢٥) البلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب: ٩٣ - ٩٤.

^(٢٦) الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ٢٣.

^(٢٧) دلائل الإعجاز: ٤٦٨ - ٤٦٩.

^(٢٨) ينظر: البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ٩٧ - ٩٨.

ففي حين يعرض الجرجاني مفاهيم مهمة وأساسية للأسلوب في سياق حديثه عن النظم يحصر دلالة مصطلح الأسلوب في زاوية ضيقة، ويجعله ضرباً من ضروب النظم، انسياقاً مع المعطيات العلمية السائدة في عصره؛ فهو هنا في صدد الكلام عن السرقات، والاحتذاء واحد من عناوين هذا المبحث، ولأهل البديع تسميات أخرى لهذه الظاهرة الأسلوبية نفسها، وهكذا فعل أهل الإعجاز حين أضفوا على مصطلح الأسلوب مفهومهم الخاص، وللنقاد والأدباء مفهوم أوسع للأسلوب يقترب من صورته المعاصرة، ومن هنا تعددت مظانّ البحث الأسلوبي وتوزعت في حقول معرفية متعددة، وينبغي التنويه إلى أن البحث الأسلوبي في تراث العربية لا يقف عند حدود مصطلح الأسلوب بمفاهيمه المذكورة آنفاً، فقد رأينا كلاماً للجرجاني في صميم الأسلوب تحت عنوان النظم، وحين اندمج النظم في البلاغة، غطت الدراسات البلاغية مساحة واسعة من النظرية الأسلوبية، فضلاً عن إشارات وملاحح وسمات أسلوبية يجدها الباحث متناثرة عند النقاد والمفسرين وعلماء الإعجاز لم يدرجوها تحت عنوان الأسلوب، ووقف البحث عند صور منها في سياقها التاريخي والموضوعي حسب الحقول المعرفية التي وردت فيها.

ومن ذلك ما يجده المتتبع لحديث الجرجاني وتحليلاته اللغوية والفنية مما لا يدخل في إطار النظم ولا البلاغة اللذين عُنيا بالخطاب وحال المخاطب ((فالأسلوب، بمفهومنا المعاصر يحمل طبيعة قائله، وهو ما عبّر عنه بوفون بعبارته المشهورة (الأسلوب هو الرجل نفسه) التي أصبحت من مسلمات مفهوم الأسلوب))^(٢٩)، فهو حين يتحدث عن سبب عدم إمكان تحديد وجه التمايز والتفاضل بين القرآن وغيره، بمعيار النظم يقول: ((لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها، وتصور لهم شأنها، أمور خفية، ومعانٍ روحانية، أنت لا تستطيع أن تتبها السامع لها، وتحدث له علماً بها، حتى يكون مهياً لإدراكها))^(٣٠)، فهو يشير إلى الأمور الخفية والمعاني الروحانية التي تمثل بعض سمات الأسلوب القرآني الصادر عن الله عز وجل، الذي بث الروح والحياة في كل جوانب الكون وفي كلامه المعجز^(٣١). ومن تحليلاته اللغوية الفنية التي يشير فيها إلى هذه المعاني الخفية للنفس ما أورده من تحليل لمعنى (إن)، إذ قد يستعين بها المتكلم لإزالة ظنٍ وقع فيه هو وليس المخاطب^(٣٢)، فقال في ذلك ما نصّه: ((واعلم أنها قد تدخل للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون. وذلك قولك للشيء هو برأى من المخاطب ومسمع: (إنه كان من الأمر ما ترى، وكان مني إلى فلان إحسان ومعروف، ثم إنه جعل جزائي ما رأيت)، فتجعلك كأنك تردّ على نفسك ظنك الذي ظننت، وتبين الخطأ الذي توهمت. وعلى ذلك، والله أعلم، قوله تعالى حكاية عن أم مريم (رضي الله عنها): ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ

^{٢٩} النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٦.

^{٣٠} دلائل الإعجاز: ٥٤٧.

^{٣١} ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٥.

^{٣٢} ينظر: علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية: ٤١.

وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦] وكذلك قوله عز وجل حكاية عن نوح (عليه السلام): ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿ الشّعراء: ١١٧﴾. (٣٣)

ويتوسع ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) في مفهوم الأسلوب، إذ نجده يميز بين أساليب الشعراء، فهو يميّز مثلاً بين أسلوب جرير في تصرفه وتنوعه، وأسلوب غيره من الشعراء في الجانب نفسه^(٣٤). يقول ابن الأثير بعد أن يستعرض شعر جرير في هجاء الفرزدق: ((وذاك أن الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ هو الذي إذا أخذ معنى واحداً تصرف فيه بوجوه التصرفات، وأخرجه في ضروب الأساليب، وكذلك فعل جرير، فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالقين كل غريبة، وتصرف فيه تصرفاً مختلف الأنحاء)). (٣٥)

ويتحدث حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) عن مفهوم الأسلوب، إذ وضع ((الأسلوب في موازنة مع النظم، وإذا كان الثاني يختص عنده بضم الألفاظ وفق نسق معين، فإن الأسلوب عبارة عن تأليف للمعاني داخل الألفاظ والتراكيب))^(٣٦). يقول القرطاجني: ((لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال، وجهة وصف الطلول... وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيأة تسمى الأسلوب، وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ، لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة جهة من جهات غرض القول وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة)). (٣٧)

والملاحظ أن القرطاجني قد استخدم عبارة المنازع الشعرية مرادفة للأساليب^(٣٨)، فقد عرّف المنازع الشعرية بقوله: ((هي الهيئات الحاصلة عن كيفية مأخذ الشعراء في أغراضهم، وأنحاء اعتماداتهم فيها، وما يميلون بالكلام نحوه أبداً، ويذهبون به إليه، حتى يحصل بذلك للكلام صورة تقبلها النفس أو تمتع من قبولها))^(٣٩). وذكر في موضع آخر أن المنزع هو ((لطف مأخذ في عبارات أو معان أو نظم أو أسلوب)). (٤٠)

٣٣) دلائل الإعجاز: ٣٢٧.

٣٤) ينظر: البلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب: ١٠١.

٣٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة: ٢٨٠/٣.

٣٦) اطرادات أسلوبية في الخطاب القرآني رصد واستدراك: ١٤.

٣٧) 327.

٣٨) النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٥.

٣٩) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٢٩.

٤٠) م. ن: ٣٣٠.

ويمكن القول إن ((هذا المفهوم الواسع للأسلوب الذي أطلق عليه (المنزع) يحيط بكثير من مفاهيم الأسلوب عند القدماء والمحدثين، وإيراده الأسلوب باعتباره جزءاً من هذا المفهوم، كما هو ظاهر كلامه، لا ينفي هذه الحقيقة، بل يعني أن مصطلح الأسلوب عند القرطاجني لم يتضح بالدرجة التي اتضح فيها مفهومه))^(٤١). ويصف القرطاجني علاقة الكلام بنفس قائله، وأغراضه ومقاصده^(٤٢)، قائلاً: ((إن النظام اللطيف المأخذ، الرقيق الحواشي، المستعمل فيه الألفاظ العرفية في طريق الغزل، تخيل رقة نفس القائل، ولو وقع ذلك مثلاً في طريق الفخر لم تخيل الغرض، بل تخيل ذلك الألفاظ الجزلة، والعبارة الفخمة المتينة القوية، وكذلك لطف الأسلوب ورقته يخيلان لك أن قائله عاشق، وخشونة الأسلوب وجفاؤه لا يخيلان ذلك، نحو أسلوب الفرزدق في النسيب))^(٤٣). وفي وصف القرطاجني هذا إشارة لما يحمله الأسلوب من طبيعة قائله.

ويلتقي الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) في مفهومه للبلاغة مع مفهوم الجرجاني للنظم، فالخطيب القزويني بعد أن يعرف بلاغة الكلام على أنها: ((مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته))^(٤٤) يوضح مقتضى الحال، بقوله: ((ومقتضى الحال مختلف؛ فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التكرير يُبين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يُبين مقام التقييد، ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف، ومقام القصر يُبين مقام خلافه، ومقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يُبين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام))^(٤٥) ثم يربط ذلك كله بفكرة النظم، فيقول: ((وهذا - أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم))^(٤٦). وهو بذلك ((يحيل إلى نظرية متكاملة في التحليل اللغوي للأسلوب... فالبلاغة في كل إجراءاتها في التعامل مع النص، أو التعبير تحاول رصد السمات الأسلوبية في اللغة الفنية التي تخرج على المواضع اللغوية في المفردات والتراكيب، كالخروج على الدلالة اللغوية في مباحث المجاز، أو التصرف في عناصر الجملة في الحذف والذكر، أو الخروج على الدلالات الظاهرية المباشرة للتراكيب في مباحث الخبر والإنشاء والكناية، وهو ما أطلقت عليه الأسلوبية الحديثة مصطلح الإنزياح، أو تغيير نظام الرتب النحوية في مباحث التقديم والتأخير، وهو ما يعرف في الأسلوبية بانزياح التوزيع أو العلاقات الركنية))^(٤٧).

^(٤١) البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ١٠٠.

^(٤٢) ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٥.

^(٤٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٢٨.

^(٤٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ١١.

^(٤٥) م. ن: ١١ - ١٢.

^(٤٦) م. ن: ١٢.

^(٤٧) البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ٩٣ - ٩٤، وينظر: الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي: ١٤١.

وجدير بالذكر أن تعريف القزويني لبلاغة المتكلم وفصاحته على أنها ملكة، بمعنى أنها هيئة راسخة في النفس^(٤٨)، يتوافق مع كلام ابن خلدون عن الأسلوب^(٤٩)، إذ تحدث ابن خلدون عن الأسلوب في سياق صناعة الشعر، قائلاً: ((ولنذكر هنا مدلول لفظة (الأسلوب) عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم. فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تُنسجُ فيه التراكيب؛ أو القالب الذي تُرصُّ فيه. ولا يُرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصلَ المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمالَ المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعملته العرب فيه، الذي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة من هذه الصناعة الشعرية. وإنما يُرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على كل تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال. ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصُّها فيه رصاً كما يفعل البناؤون في القالب، أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب لحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه. فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة)).^(٥٠)

وبالمقارنة بين كلام ابن خلدون عن الأسلوب ووصفه له بأنه ((هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب...)) وكلام القزويني الذي عدّ بلاغة المتكلم وفصاحته ملكة، نستنتج أن ما أراده ابن خلدون بالأسلوب هو عين ما قصده القزويني ببلاغة المتكلم وفصاحته.^(٥١)

والحق أن ما قدمه ابن خلدون يعدُّ مفهوماً اصطلاحياً دقيقاً للأسلوب، وهو يسبق دخول الأسلوب في المصطلح النقدي الأوربي بقرون.^(٥٢)

تلك جهود الأدباء والنقاد العرب القدامى في الكشف عن مفهوم الأسلوب، جهود تكشف عن أصالة هذا المصطلح اللغوي في التراث العربي، ولعل من المنصف القول إن هذه الجهود لم تقتصر على الأدباء والنقاد وإنما تجاوزتها إلى المفسرين وعلماء الإعجاز القرآني.

فالإمام الخطابي (ت ٣٨٨هـ) يشير في حديثه عن وجوه إعجاز القرآن إلى تفرّد النص القرآني وتميّزه عن أي نص آخر مهما علا شأنه في البلاغة من حيث ألفاظه ومعانيه ونظمه، لأنه صادر من الذات العلية^(٥٣). وهذا

^(٤٨) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١١، ١٨.

^(٤٩) ينظر: البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ٩٩.

^(٥٠) المقدمة: ٢٧٩/٣.

^(٥١) ينظر: البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ٩٩.

^(٥٢) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل: ٩٤.

^(٥٣) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام: ٣٥ - ٣٦.

ملح أسلوبه وقف عليه الخطابي، ((فمصطلح النظم وكذلك البلاغة لا يتسعان لما يمكن أن نسميه (مقتضى الخطاب) الذي تفرضه طبيعة الخطاب القرآني ومصدره الرياني، إذ يغفل هذا النوع من التحليل عن العنصر الأساسي المنتج للخطاب والمحدد لمقاصده، وهو ما يُعنى به الأسلوب بمفهومه الأدبي الذي أشار إليه القدماء، ورسخ مفهومه المعاصرون، وتتأكد أهمية المرسل في الخطاب القرآني لفرادته التي تعطي للنص القرآني هويته المتفردة، فهو خطاب خاص يختلف نوعياً عن أي خطاب آخر يكون فيه المخاطب واحداً من الناس، شاعراً، أو كاتباً، أو خطيباً، ومهما كان موقعه في المجتمع، ففي الخطاب البشري يفرض المخاطب مقتضيات اللغوية التي تتناسب مع خصوصية أحواله، أما في الخطاب القرآني فإن مقتضى الخطاب الذي يريده الله عز وجل هو الذي يحدّد مقتضى الحال، وأدوات تحققه اللغوية، لأنه أعلم بأحوال المخاطب، ظاهرها وباطنها من نفسه)).^(٥٤)

ومما يندرج ضمن مفهوم الأسلوب هذا ما عدّه الخطابي وجهاً جديداً من وجوه الإعجاز، قال فيه: ((قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع، خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور...)).^(٥٥)

ويذكر أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) الأسلوب في سياق التوضيح والتفصيل لمفهوم النظم الذي عدّه الوجه الثالث من وجوه الإعجاز القرآني، وهذا هو أحد معنيي الأسلوب عند معظم علماء الإعجاز^(٥٦)، إذ قال في الوجه الثالث ما نصّه: ((إنه بديع النظم عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه))^(٥٧) ثم بيّن المقصود من بديع نظمه بقوله: ((وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد)).^(٥٨) وللباقلاني لمحات أسلوبية يكشفها المتأمل في كلامه^(٥٩)، من ذلك مثلاً قوله: ((متى تهياً للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان (عليه السلام) بعد ذكر العنوان والتسمية، هذه الكلمة الشريفة العالية: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُنُوتِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]))^(٦٠) فهو يشير إلى ملامح الأسلوب القرآني التي تميزه عن أي كلام آخر بوصفه كلاماً صادراً من الذات الإلهية.

^(٥٤) النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٧.

^(٥٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٠.

^(٥٦) ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٣.

^(٥٧) إعجاز القرآن: ٣٨.

^(٥٨) م. ن: ٣٨.

^(٥٩) ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٦.

^(٦٠) إعجاز القرآن: ١٥٤.

وتطالعنا ملامح الأسلوب عند ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) في سياق إجابته عن سؤال: ((هل القرآن موصوف بأنه في أعلى درج البلاغة أم لا؟))^(٦١)، إذ أجاب عن ذلك بقوله: ((إن كنتم تريدون أن الله قد بلغ به ما أريد، فنعم، هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها، وإن كنتم تريدون هل هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين، فلا؛ لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين، لا من أعلاه، ولا من أدناه، ولا من أوسطه... فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً، وأن الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز...))^(٦٢)، فقوله ((إن الله قد بلغ به ما أريد)) يُعدُّ (معلماً أسلوبياً يشير إلى الطرف الأول من الخطاب الذي لم تعطه البلاغة حقه، وهو ما يريده صاحب الخطاب)).^(٦٣)

ويقترّب الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في مفهومه للأسلوب من مفهوم ابن قتيبة الواسع الذي مثله حديثه عن مذاهب العرب وافتتانها بالأساليب^(٦٤)، إذ يقول: ((إن القرآن إنما نزل بلغة العرب مصبواً في أساليبهم واستعمالاتهم))^(٦٥)، ويؤكد ذلك في موضع آخر قائلاً: ((وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم)).^(٦٦) وقد أورد القاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ) لفظ الأسلوب معطوفاً على النظم، في وجه واحد، إذ قال: ((الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها))^(٦٧). ولعل الجمع بينهما من قبيل عطف الخاص على العام، وذلك بعدّ الأسلوب ضرباً من النظم كما ذكر الجرجاني وقرنه بالاحتذاء.^(٦٨)

وينبغي التذكير هنا أن الأسلوب حين يرد في سياق دراسات الإعجاز له مفهوم خاص يباين ما رأيناه عند الأدباء والنقاد، فهو عندهم نمط أو جنس من الكلام كالشعر والرسائل والخطب، ولذلك عدّوا القرآن أسلوبياً خاصاً مغايراً لكل أساليب الكلام عند العرب، وهذا ما نلحظه عند الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) الذي عدّ الأسلوب وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز، إذ نكره عند حديثه عن اختلاف ((الناس في الوجه الذي لأجله كان القرآن معجزاً، فقال بعضهم هو الفصاحة، وقال بعضهم هو الأسلوب...))^(٦٩)، ويتمثل مفهوم الأسلوب عند الرازي بنمط الكلام أو الجنس الأدبي^(٧٠)، وهو يعبر عن مفهومه هذا عند حديثه عن مزية القرآن وحسنه، فهو عنده ((من وجهين: الأول:

٦١ الفصل في الملل والاهواء والنحل: ١٢/٣.

٦٢ م. ن: ١٢/٣.

٦٣ النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٢.

٦٤ ينظر: البلاغة والأسلوب جدلية الأصالة والتغريب: ٩٧.

٦٥ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي: ٦٩/١.

٦٦ م. ن: ٥٧٤/٣.

٦٧ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢٦٤/١.

٦٨ ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٣.

٦٩ مفاتيح الغيب: ٣٢٥/١٧.

٧٠ ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٣.

أن يكون ذلك الحسن لأجل الفصاحة والجزالة، والثاني: أن يكون بحسب النظم في الأسلوب، وذلك لأن القرآن ليس من جنس الشعر، ولا من جنس الخطب، ولا من جنس الرسائل، بل هو نوع يخالف الكل^(٧١).

وقد استبعد العلماء أن يكون الأسلوب بهذا المفهوم وجهاً للإعجاز، لأنه لا يعدو أن يكون ((عنواناً للشكل التعبيري، وكون القرآن قالباً تعبيرياً جديداً لم يألفه العرب لا يجعله ذلك معجزاً، فكل فنون القول من شعر وخطابة ورسائل لها بداية، وتصوروا أن مسيلمة حين احتذى أسلوب القرآن ونسج كلامه على قلبه قد عارض أسلوب القرآن بهذا المعنى، وجاء بما يضاويه، وما ذلك إلا لقصور مفهوم الأسلوب عندهم وقصره على القالب الشكلي^(٧٢).

ويبدو اضطراب مصطلح الأسلوب والتباسه بغيره من المصطلحات واضحاً لدى الرازي عند تفسيره لسورة البقرة ووقوفه عند مظاهر البلاغة في آياتها^(٧٣)، إذ يقول: ((ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك^(٧٤)). ومعلوم أن ((الرازي اختار الفصاحة من بين الوجوه التي عرضها للإعجاز، ومن غير أن يحدد مفهومها، وحين وقف على صور من النظم لا يتسع لها مفهومه للفصاحة نسب لها الإعجاز، وتوقع أن القائلين بإعجاز الأسلوب أرادوا ذلك، ولم يجزم بالمراد منه^(٧٥).

ويسير القرطبي (ت ٦٧١هـ) على خطى الرازي في عدّ الأسلوب نوعاً أدبياً^(٧٦)، إلا أنه إلى جانب ذلك التمس عليه مفهوما النظم والأسلوب، فلم يُفرّق بينهما، فالنظم والأسلوب وجهان للإعجاز متحدان في المفهوم عند القرطبي^(٧٧). إذ يقول: ((ووجوه إعجاز القرآن عشرة: منها النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها... ومنها الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب^(٧٨).

ويشير القرطبي إلى ملمح أسلوبه عند حديثه عن الوجه الثالث من وجوه الإعجاز، إذ قال: ((ومنها الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة: ﴿قُورَانِ الْمَجِيدِ﴾ إلى آخرها... قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾^(٧٩) ومن

^{٧١} مفاتيح الغيب: ٤٤٢/٢٦.

^{٧٢} النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٣.

^{٧٣} ينظر: م. ن: ٩٤.

^{٧٤} مفاتيح الغيب: ١٠٧/٧.

^{٧٥} النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٤.

^{٧٦} ينظر: البلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب: ٩٧.

^{٧٧} النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٠.

^{٧٨} الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: ٧٣/١.

^{٧٩} م. ن: ٧٣/١.

الملاحظ هنا ((استخدام الخطاب بمفهومه الأسلوبى، فالنص أسلوبياً خطاب بين طرفين، طرف يصدر عنه، وطرف يوجه إليه)).^(٨٠)

ونجد مثل هذا اللبس الذي وقع فيه القرطبي بين مصطلحي النظم والأسلوب لدى ابن النقيب (ت٦٩٨هـ) ومن بعده ابن جُزَي الكلبى (ت٦٤١هـ)^(٨١)، إذ جمع ابن النقيب بين المصطلحين في وجه واحد، فقال: ((صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب))^(٨٢). ومثله فعل ابن جُزَي الكلبى حين قال في الوجه الثاني من وجوه الإعجاز إنه: ((نظمه العجيب وأسلوبه الغريب)).^(٨٣)

وللإمام شرف الدين الطيبي (ت٧٤٣هـ) في حاشيته على الكشاف ملامح أسلوبى، إذ ألمح إلى أن الإعجاز واقع في السورة الواحدة مهما كان طولها لتمييزها في النمط الأسلوبى عن غيرها من الكلام^(٨٤). وذلك في سياق تفسيره لسورة الأنفال، إذ قال: ((هذا هو النظم المعجز الفائت للقوى والقُدْر! ولهذا السر كان التحدي بالسورة وإن كانت قصيرة، دون الآيات وإن كانت نوات عدد)).^(٨٥)

ولا يفرّق العلوي (ت٧٤٩هـ) بين الأسلوب والنظم، بل يساوي بينهما، فيربط بين الأسلوب وطرق أداء المعنى، إذ لكل أسلوب طريقته الخاصة في استخدام العلاقات النحوية في الفنون المختلفة^(٨٦). يقول: ((يجب على الناظم والناثر فيما يقصد من أساليب الكلام مراعاة ما يقتضيه علم النحو أصوله وفروعه من تعريف المبتدأ وتقديمه وجوباً، إذا كان استقهاماً، أو شرطاً، وجوازاً في غير ذلك، ومراعاة تنكير الخبر، وتقديمه إذا كان المبتدأ نكرة، وأن يراعى في الشرط والجزاء، كون الجملة الأولى فعلية وجوباً، والثانية بالفاء إذا كانت جملة اسمية، أو فعلية إنشائية، كالأمر والنهى، أو خبرية ماضية، وأن يأتي بالواو في الجملة الاسمية إذا وقعت حالاً، وتحذف مع المضارع المثبت)).^(٨٧)

ونجد مثل هذا الخلط بين مفهومي النظم والأسلوب عند عضد الدين الإيجى (ت٧٥٦هـ)، وذلك في سياق حديثه عن وجه إعجاز القرآن، إذ قال ((وقد اختلف فيه، فقليل ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعته وفواصله... وقيل كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها وعليه

^{٨٠} النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٦.

^{٨١} ينظر: م. ن.

^{٨٢} مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن النقيب، تح: د. زكريا سعيد علي: ٥١٩.

^{٨٣} التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن جُزَي الكلبى، تح: د. عبد الله الخالدي: ٢٦/١.

^{٨٤} ينظر: النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩٧.

^{٨٥} فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف، تح: حمزة محمد وسيم البكري: ٥٤/٩.

^{٨٦} ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ٢٠ - ٢١.

^{٨٧} الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ١١٩/٢.

الجاحظ^(٨٨)، فالوجه الأول الذي عدّه النظم الغريب ((هو نفسه الأسلوب المخالف لأساليب العرب، ولو وضعنا الأسلوب موضع النظم لانطبق عليه هذا الوصف أكثر مما ينطبق على النظم، فالأسلوب بمفهومه عند أهل الإعجاز، هو الذي يوصف بالغرابة ومخالفة أساليب العرب في نظمهم ونثرهم، وليس النظم الذي هو من جنس كلام العرب ولكنه يتفوق عليه بخصائصه ودقائقه^(٨٩)، وأما الوجه الثاني الذي عليه الجاحظ، فإنه ((من المعروف أن الجاحظ من القائلين بالنظم. ولم يذكر لنا أحد بيمّ خالف نظم القرآن نظمَ كلام العرب، بل لا يمكن تصور ذلك؛ لأن النظم هو نظام اللغة وقوانين تأليف ألفاظها، والقرآن نزل بلغة العرب... ولا يغير من هذه الحقيقة اختصاص القرآن بألفاظ وتعابير لم ترد في كلام العرب كالأحرف المقطعة في بدايات السور... فهذه الحالات.. ظواهر أسلوبية لا تمس نظام اللغة الذي يقوم النظم على أساسه^(٩٠))).

إن ما تقدم من دراسات في التراث العربي حول مصطلح الأسلوب يكشف عن أصالة المصطلح في هذا التراث الزاخر، كما يكشف عن وجود أكثر من مفهوم له.

إذ توسع فيه بعض الأدباء والنقاد حتى جعلوه شاملاً للنظم وطريقة الأداء، في حين حصره آخرون بضرب من النظم، تواضعوا على تسميته بالترصيع والموازنة والمماثلة. ونظر له بعض الإعجازيين من زاوية الشكل التعبيري فقصره على هذا، فعّدوه أحد الأجناس الأدبية، كالشعر والنثر والرسائل. وبين هؤلاء نجد من ساوى بينه وبين مصطلح النظم فلم يهتد لوجه الاختلاف بينهما.

والحق أنه وعلى الرغم من تعدد مفاهيم مصطلح الأسلوب في التراث العربي، إلا أنها سارت جميعاً بشكل متوازٍ فلم تتوالٍ فيبنى بعضها على أنقاض بعض كما هو الحال في المفاهيم والنظريات الحديثة التي ساقها الغربيون لمصطلح الأسلوب والأسلوبية.

الأسلوب عند المحدثين:

حين نتحدث عن الأسلوبية وعلم الأسلوب عند المحدثين إنما نتحدث عن النظريات الغربية الحديثة، فقد أقبل أنصار الحداثة من الدارسين العرب على ترجمة هذه النظريات ودراستها وتتبع مناهجها وتطورها والمفاضلة بينها والإفادة منها في تحليل النصوص الأدبية، والمقاربة - أحياناً - بينها وبين بعض النظريات في تراثنا البلاغي والنقدي التي تقترب - من وجهة نظرهم - مع بعض هذه النظريات الغربية الحديثة.

وفي مقابل هيمنة هذه النظريات الغربية التي تستبطن أحياناً توجهاتٍ وأفكاراً ذات أبعاد فلسفية أو أيديولوجية، رأى البعض من أنصار التراث أن الأسلوب بمفاهيمه الأساسية ليس جديداً على ثقافتنا وتراثنا، بل إن بعض النظريات الحديثة ما هي إلا إعادة إنتاج لجهود أصيلة في هذا التراث، ولعل الدكتور شكري محمد عياد يعبر

^(٨٨) كتاب المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة: ٣/٣٧٧.

^(٨٩) النظم والأسلوب - قراءة جديدة في نظرية الإعجاز القرآني: ٩١.

^(٩٠) م. ن: ٩١.

عن هذا الاتجاه بقوله في مقدمة كتابه "مدخل إلى علم الأسلوب": ((الكلام عن الأسلوب قديم، أما علم الأسلوب فحديث جداً، ولكنني إذ أقدم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا؛ لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة))^(٩١). وفي هذه المقدمة أبدى الدكتور عياد عزوفه عن الحداثة والتحديث وعدّ نظريات الأسلوبية الغربية بدعة جديدة من بدع الثقافة الغربية فتن بها الناس، وحدد هدفه بأنه ((يحاول أن ينشئ في ثقافتنا العربية علماً جديداً مستمداً من تراثها اللغوي والأدبي، ومستجيباً لواقع التطور في هذا التراث الحي، ومستفيداً من دراسات أهل الغرب بالقدر الذي يمكّن من رؤية التطور المعاصر رؤية تاريخية، وقراءة التاريخ قراءة عصرية))^(٩٢).

ويتبنى البحث هذه الرؤية، ويسعى إلى قراءة التراث قراءة عصرية في ضوء معطيات العصر ومقتضيات التطور، للخروج بنظرية مستقلة قادرة على مزاحمة النظريات الغربية أو الحلول محلها في دراساتنا اللغوية والنقدية المعاصرة.

وتعددت صور الأسلوب واختلفت مفاهيمه عند منظريه في الغرب، بل تناقضت إلى الحد الذي جعل بعضهم ينفي وجوده^(٩٣). ويمكن تلخيص المفاهيم الغربية لمصطلح الأسلوب في ثلاثة اتجاهات:^(٩٤)

الاتجاه الأول: يُركز على الأديب، أو المؤلف، المبدع، المرسل لرسالة معينة، وأشهر من يمثل هذا الاتجاه (الكونت بيفون) حين قال: ((إن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر ويكتبها من هم أعلى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير))^(٩٥).

الاتجاه الثاني: يُركز على النص نفسه من خلال النظر إلى خواصه في إطار البحث الموضوعي، فهو يخص الأثر الأدبي وما فيه من فنيات معينة قدمها الأديب في بناء نصه، كالألفاظ والعبارات والصور والخيال.

الاتجاه الثالث: يُركز على القارئ أو المرسل إليه، بوصفه متلقياً وطرفاً أساسياً في العملية الإبداعية، وذلك من خلال التركيز على قضية التأثير وردة الفعل على العمل الإبداعي.

ويمكن القول إن الأسلوب بشكل عام يتصل بعلم اللغة لإبراز التعبير اللغوي، لذلك نجد أن التعريف الأدق والأشمل لعلم الأسلوب طبقاً للمدرسة الفرنسية^(٩٦) هو: ((دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة))^(٩٧).

٥٩١

٥٩٢

٩٣) ينظر: بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي: ٤٣.

٩٤) ينظر: م. ن: ٤٥ - ٤٧.

٩٥) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ٩٥ - ٩٦.

٩٦) ينظر: بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي: ٤٨.

٩٧) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ١٣٤.

ومن هنا ظهر مصطلح الأسلوبية في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي قررت أن تتخذ من علم الأسلوب علماً يُدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي، أو التحليل النفسي، أو الاجتماعي، تبعاً لاتجاه هذه المدرسة أو تلك.^(٩٨)

وقد أسهمت دراسة اللسانيات على يد (دي سوسير) إسهاماً كبيراً في ظهور الأسلوبية، التي تطورت فيما بعد على يد تلميذه (شارل بالي) الذي بعث وأرسى قواعد علم الأسلوب.^(٩٩) وكما هو الحال مع الأسلوب، فقد تعددت تعريفات الأسلوبية ((بتعدد مواد دراستها واهتماماتها، فمرة يكون الاهتمام باللغة وأخرى بالمبدع وما يكتنف شخصيته من كل الجوانب، وثالثة بعملية التواصل التي تقف مرتكزة على القارئ أو المتلقي وتأثيراته... والأسلوبية أو (علم الأسلوب) علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره، وتعتبر الظاهرة الأسلوبية في الأساس لغوية)).^(١٠٠)

ولتكتمل النظرة إلى جهود الأسلوبيين الغربيين، سنقف على أهم المناهج الأسلوبية التي وضعها الغربيون، وهي:

- ١- الأسلوبية الوصفية: ويطلق عليها أسلوبية التعبير، ومؤسسها (شارل بالي)^(١٠١)، الذي ركز ((على الطابع الوجداني الذي يعتبر العلامة الفارقة في أية عملية تواصل بين الباحث والمتلقي، وقد اعتمدت على اللغة الشائعة، لغة التواصل اليومي، دون اللغة الأدبية، لغة الإبداع، باعتبارها خطاباً بسيطاً بعيداً عن التعقيد، معبراً بصدق عن الأحاسيس والمشاعر التي تؤثر في المتلقي... فالأسلوبية التعبيرية هي الكشف عن الطاقات التعبيرية الموجودة داخل اللغة)).^(١٠٢) وقد توسعت فيما بعد على يد كريسو وماروزو، وبيير جيرو، وأولمان.^(١٠٣)
- ٢- الأسلوبية النفسية: ويطلق عليها أسلوبية الكاتب، أو الأسلوبية الأدبية المثالية، أو الأسلوبية النقدية ومؤسسها ليوسبترر^(١٠٤)، الذي عرف منهجه في تحليل النص بالدائرة اللغوية، فالدائرة اللغوية هي وسيلة يقصد بها النفاذ إلى بواطن صاحب الأسلوب، من المشاعر والانفعالات التي تسيطر عليه حين صياغته لأسلوبه^(١٠٥). ويقوم هذا المنهج على ثلاث مراحل متتابعة، ((أما المرحلة الأولى فهي القراءة، ثم القراءة، بصبر وثقة، حتى يتشبع المرء بجو

^{٩٨} ينظر: الأسلوب والأسلوبية: مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، أحمد إبراهيم درويش، مجلة الهيئة المصرية العامة

للكتاب، مج ٥، ع ١٤، س ١٩٤٨م: ٦١، والأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ٣٩.

^{٩٩} ينظر: بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغيلسي: ٥٠.

^{١٠٠} م. ن: ٤٩.

^{١٠١} ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ٩١.

^{١٠٢} بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغيلسي: ٥٣ - ٥٤.

^{١٠٣} ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق: ٩١.

^{١٠٤} ينظر: الأسلوبية، بيير جيرو، تر: منذر عياشي: ٨٢.

^{١٠٥} ينظر: علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية: ٤٦.

العمل. عندئذ يبدئه تكرر سمة أسلوبية معينة. وفي المرحلة الثانية يبحث عن تفسير سيكولوجي لهذه السمة، أما في المرحلة الثالثة فإنه يحاول العثور على أدلة جديدة تشير إلى وجود العامل ذاته في نفس المؤلف^(١٠٦). وقد وجه علماء الأسلوب انتقادات شديدة على هذا المنهج، ومن أهم الانتقادات التي وجهت إليه، ((طبيعته الحدسية التي يقوم عليها، وهزال الدليل اللغوي الذي تبنى عليه نتائج بعيدة المدى))^(١٠٧). وهجر سبببتر منهج الدائرة اللغوية مقترباً من النظرية البنوية والمنهج الوظيفي^(١٠٨).

٣- الأسلوبية الوظيفية أو البنوية: ومن أشهر روادها جاكبسون وريفاتير ورولان بارت، وهي تنطلق في تحليلها للأثار الأدبية من خلال البنى اللغوية المشكلة لها، فهي تؤسس لمنهج غايته دراسة النصوص انطلاقاً من لغتها، وما تحدثه هذه اللغة من تجاوز في مفرداتها وتراكيبها، فالمنابع الحقيقية لظاهرة الأسلوبية بحسب المنهج الوظيفي ليست فقط في اللغة وإنما في نمطيتها^(١٠٩). فهي تركز ((على مدى تناسق أجزاء النص ورصد انسجامها، كما تعتني بعلاقة التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص وبالدلالات والإيحاءات، لهذا فهي تأخذ بعداً ألسنياً قائماً على علمي المعاني والصرف وعلم التراكيب))^(١١٠). وتقوم الأسلوبية الوظيفية على الوظائف الست للخطاب، وهي: (١١١)

- ١- الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية: وهي تحدد العلاقة بين المرسل والرسالة وموقفه منها، وتعمل على توظيف أساليب الإنشاء كالتهجيب، والسخرية والتهكم، وتهدف إلى إقامة تعبير مباشر لموقف المرسل إزاء المخاطب.
- ٢- الوظيفة الإفهامية: وتتعلق بالمرسل إليه، ويستعمل فيها الصيغ الإنشائية الطلبية، كالأمر والنهي، والدعاء والاستفهام، والعرض والتحضيض والالتماس.
- ٣- الوظيفة المرجعية: وهي أساس في كل تواصل، إذ تحدد بين الرسالة وما تحيل عليه، وهي الوظيفة الغالبة على بقية الوظائف في كثير من الرسائل اللغوية.
- ٤- الوظيفة الاتصالية أو الانتباهية: وتهتم بإبقاء التواصل بين طرفي الخطاب: المرسل والمرسل إليه، وتشمل العبارات اللغوية، والإشارات غير اللغوية أو الهمهمات.
- ٥- وظيفة ما وراء اللغة أو الميتالسانية: وتظهر هذه الوظيفة في الرسائل أو النصوص التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها، فتصف اللغة وتذكر عناصرها وتعريف، بمفرداتها.

١٠٦) اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري محمد عياد: ١١١.

١٠٧) الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ١٢١.

١٠٨) ينظر: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته: ١٩٦ - ١٩٧، والبلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب: ١٠٢.

١٠٩) ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ٩١، وبنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي: ٥٥.

١١٠) بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي: ٥٥.

١١١) ينظر: الأسلوبية: الرؤية والتطبيق: ١٣٤ - ١٣٥.

٦- الوظيفة الإنشائية أو الشعرية: وقد اهتم بها جاكبسون كثيراً، ويكون فيها الكلام والنص هو الغاية، فيدرس من الناحية الأدبية أو الجمالية، وتمثل هذه الوظيفة جزءاً لا يتجزأ من اللسانيات، لاهتمامها بقضايا البنية اللسانية. تلك هي أهم الاتجاهات الأسلوبية التي وقف عليها الغربيون. وقد عمد النقاد والبلاغيون العرب المحدثون إلى وصل البلاغة بالأسلوبية الغربية والانفتاح على التطور الذي وصلت له الدراسات الأسلوبية الغربية، إذ ظهرت في النصف الأول من القرن الماضي ((أفكار جديدة في مجال البحث البلاغي، ومناهج جديدة في تناوله، تمثلت في مؤلفات مثل: كتاب الأسلوب للأستاذ أحمد الشايب، ودفاع عن البلاغة للأستاذ الزيات، وفن القول للأستاذ أمين الخولي، ومما اتفقت عليه هذه المؤلفات الربط بين البلاغة والدراسات الأسلوبية في الغرب)).^(١١٢)

والحق أن الاتجاهات الأسلوبية الغربية في مجملها تمثل مرحلة متقدمة ومتطورة من البلاغة، فالبلاغة علم يبحث في التراكيب والتعبير بما هو عام وخارجي، أما علم الأسلوب فإنه ينظر لهذه التراكيب والتعبير من الوجهة الفردية الخاصة التي تميزها عن غيرها كتعبير متفردة شخصية، مما يعني أن علم الأسلوب يأتي ليكمل ما تركته البلاغة، وبالتالي فهو مرحلة متقدمة ومتطورة عنها.^(١١٣)

نتائج البحث:

إن من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

- تعدد مفاهيم الأسلوب لدى علماء التراث العربي، غير إن هذه المفاهيم قد سارت بشكل تكاملي، فلم ينقض بعضها البعض الآخر ولم تتقاطع فيما بينها، وهي تشكل في مجملها ملامح نظرية أسلوبية تراثية.
- إن دراسات الإعجازيين للقرآن اشتملت على ملامح للأسلوب، وقد شكّلت هذه الملامح معلماً أسلوبياً لو أتيح له أن يصاغ في نظرية أسلوبية لاتفتقت في كثير من جوانبها مع النظريات الأسلوبية الحديثة، إلا أن علماء الإعجاز لم يدرجوها ضمن مفهوم الأسلوب.
- تعدد مفاهيم الأسلوب لدى الغربيين وتناقضها، مما شكّل تعدداً وتناقضاً في النظريات الأسلوبية التي وضعها الغربيون، وهذا يستدعي تحاشياً لتطبيق نظرية أسلوبية غربية على نص مقدس كالقرآن الكريم، فهي نظريات لها أهدافها وغاياتها التي لا تتفق مع خصوصية النص القرآني، وبالتالي فإن البلاغة العربية بما تمتلكه من منهج في الدراسة يُمكن أن تشكل أداة تحليل أسلوبية يتفق مع خصوصية الكتاب الكريم وقدسيته.

^(١١٢) البلاغة والأسلوبية: جدلية الأصالة والتغريب: ٩٠.

^(١١٣) ينظر: بنية الخطاب الشعري عند يوسف وجليسي: ٦٣.

المصادر والمراجع:

- اتجاهات البحث الأسلوبية، شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، (د. ط. ت).
- اطردات أسلوبية في الخطاب القرآني رصد واستدراك، محمد إقبال عروي، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط١، الرباط، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الأسلوب والأسلوبية: مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، أحمد إبراهيم درويش، مجلة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مج٥، ع١، س١٩٨٤م.
- الأسلوبية، بيير جيرو، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ٢٠٠٨م.
- الأسلوبية والأسلوب، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط٣، (د. ت).
- الأسلوبية والبيان العربي، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور محمد السعدي فرهود، والدكتور عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- إجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ، (د. ط).
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د. ط. ت).
- البلاغة والأسلوب: جدلية الأصالة والتغريب، د. محمد حسن مصطفى، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة تكريت، مج٢٩، ع٩٤، س٢٠٢٢م.
- البلاغة والأسلوبية، الدكتور محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط١، ١٩٩٤م.
- بنية الخطاب الشعري عند يوسف وغليسي، حليلة واقوش، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عبد العزيز لعكايشي، كلية الآداب واللغات - جامعة منتوري قسنطينة ١، ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ / ٢٠١٢ - ٢٠١٣م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط. ت).
- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن جزي الكلبلي (ت٧٤١هـ)، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى (ت٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني (ت٣٨٤هـ) والخطابي (ت٣٨٨هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٤م.
- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (د. ط).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، (د. ط).
- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، (د. ط).
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي (ت٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تح: حمزة محمد وسيم البكري، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الفصل في الملل والاهواء والنحل، أبو محمد علي بن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط. ت).
- كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت٧٥٦هـ)، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت).

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (د. ط. ت).
- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، المشروع للطباعة، مصر، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين محمد الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن النقيب (ت٦٩٨هـ)، تح: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، (د. ط).
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تح: محمد الحبيب بن الخواجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت٣٧٠هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٤، (د. ت).
- النظم والأسلوب - قراءة في نظرية الإعجاز القرآني، د. محمد حسن مصطفى، مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب - جامعة تكريت، مج١٤، ع٥٠، س٢٠٢٢م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، (د. ط. ت).